

وقد يُشْهِدُونَ مَنْ يتواطئ معهم في كذبهم وافتراءهم فيقول لك أحدهم ((إذا لم تُصدّقني، إسأل فلاناً))!! ممن يشهد له زوراً، ومهما ازدادت وتكاثرت الأعذار فإنّ سبباً واحداً حقيقياً يكون مجهولاً أو مخفياً لا يصدقُ المعتذرُ فيه.

وفي الحياة الزوجية تتطائر الأعذار من الطرفين، تقول الزوجةُ أنّها لم تطبخ اليوم لأنّ جارتها زارتها وشغلتها، أو إنّها ذهبت إلى السوق ولم يسعها الوقت، أو أنّ زيارتها إلى الطبيب حالت دون ذلك، أو أنّ تنظيف البيت استغرق وقتاً طويلاً، وقد يكون بعض ذلك صحيحاً؛ لكنّه - بالضرورة - العذر الرئيس المانع من دون أن تعدّ الطعام، أو أيّة خدمة أخرى من خدمات البيت ومستلزماته.

ويقول الزوج المتأخّر عن عودته إلى المنزل، أنّ صديقاً صادفه في الطريق وشغله، وأنّ مديره استدعاه فتأخّر عنده، أو أنّ الازدحام هو الذي تسبّب في تأخّره، وقد يكون بعض هذه الأعذار والقصص اجترارياً تكرارياً، يتردّد على ألسن المعتذرين بسهولة؛ ولكن بعضهم يُفكّر جيّداً في العذر الذي يحاول حبه وحيافته وإحكامه حتى لا يتسلل الشكّ إلى قلب الزوجة، وتساورها الطنون، وتذهب بها المذاهب.

وهكذا في أعذار (الخدَم) لـ(مخدوميهم)، وأعذار الموظفين لمدراءهم، وأعذار المواطنين لحكوماتهم، وأعذار الحكومات لمواطنيها، وأعذار الأصدقاء لأصدقائهم، وفي السيرة النبويّة كان ثمة أُناس من المسلمين يعتذرون عن المشاركة في (الجهاد) ضدّ الأعداء، ويقدمون من الأعذار ما يحاولون به الحصول على الإذن بالقيود وعدم المساهمة، كأنّ يقولون بأنّ (بيوتهم عورة) أي ليس هناك مَنْ يحرسها أو يحميها أو يقوم على شؤونها في غيابهم، أو يقولون بأنّ الجوّ حارٌّ شديد الحرارة، وهم لا يطبقون السفر في الحرّ، أو يدّعون أن نساء الرُّوم الجميلات فتنة، وهم رجال ضعفاء أمام النساء الفاتنات، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ (التوبة/ 90)، أيّ الآتون بالعذر. وستأتي بعض الأعذار التي رصدها القرآن على ألسنة أهل النفاق، ومن ثمّ، فإنّنا نادراً ما يمرّ علينا يوم لا نصادف فيه أُناساً يخلقون الأعذار لأيّ (تقصير) أو (خطأ) أو (قُبْح) أو (إساءة) أو (جناية)، إمّا استسهالاً لارتكاب الأخطاء، أو لدفع ضرر وخطر، أو لكسب ربح أو تعاطف، وفي كلّ الأحوال للدفاع عن أنفسهم.

من هنا، فإنّ من طريف ما قاله بعضُ اللغويين إنّ أصلَ (العُذر) من (العَذَرَة) وهي الشئ النجس (فضلات الإنسان أو الحيوان)، وعذرتُ فلاناً: أزلتُ نجاسةً ذنبه بالعفو عنه، كقولك غفرتُ له، أي سترتُ له ذنبه. و(العَذَرَة) من الغلام (الذكر) القُلْفَة التي تُزال بعد الولادة، من الفتاة

(الأُنْثَى) البكارة التي تنزل بعد الزواج، وامرأة عذراء ذات (عَذْرَة)، وكلُّ هذه الاستعمالات جامعة
لمعنى الرفع والإزالة.